

قلت — قيل : رب اخ لك لم تلده أمك . وانا اقول : رب والدك لم تتزوجه أمك .  
قالت : رحمها الله ، انت في ايش ونحن في ايش .

فقلت : فما أبقاك معي ، اذن ، واين السائق ؟

فأخبرتني بأننا ، حين وقعنا من السيارة وكانت ، سلم الله ، تسير بطيئا ، غابت عن الوعي دون أذى . وأما يعاد ، « شكرا لك يا والدي » ، فقد كنت احوطها بذراعي فوثقت على صدري فلم تتأذى . فمهرع نحونا رجال ونساء من قرية السلكة ، كانوا يعملون في اراضي الكيبوتس القريبة من موقع وقعتنا . وكان على رأسهم مضيفنا ابو محمود الذي أكرم وفادتنا وسافر معنا الى قريته ، فبيتته ، حيث وجدوا انني غائب عن الوعي اعياء فحسب . فتركوني أستريح حتى أمثال .

وأما سائق السيارة ، وهو صاحبها ، فهو صديق كريم الا أنه اضطر للعودة الى نابلس ، فانه محظور عليه المبيت في اسرائيل وسيارته معه . وقد تركنا وهو شديد التأثر مما بدا منه من اهمال . فقد توهم انه هو المسؤول عن سقوطنا حين لم يحكم باب السيارة اغلاقا .

فأحكمت اغلاق فمي عن هذا الوهم خوفا من وقعة اخرى .

أما يعاد فأثرت البقاء معي حتى يعود اليّ رشدي فأعيد اليها اخاها سعيدا الذي جاءت الى شطة من بيروت تبحث عنه .

— وسجين زنده المقيم ( الذي هو أنا ) ، يا يعاد ، الا تعودين اليه ؟

— الآن ، يا والدي ، وقت العشاء . قم وأكرم الناس الكرام الذين اكرمونا .

وأقبل أهل الدار يسلمون على القادمين « من عند العرب » . وكانوا يؤهلون بنا تأهila عظيما ، وينتظفون كل كلمة نقولها بحرص شديد كما لو انها بضاعة نادرة مهربة . وتولت يعاد الرد على أسئلتهم . وأما أنا فاكتفيت بالقيام والقعود وبياحي الله وبالسلام عليكم ، خوفا من أن يتعثر لساني بكلمة في غير موقعها فأقع .

وكانت يعاد بين الرجال رجلا . حسنها شباب ، وشبابها حسن وأحسنهما المامها الحسن بحديث الرجال . وكنت أنظر نحوها مأخوذا بها ، فأسمع الرجال يدعون الله أن يبقيها لي فأحمده وأدعوه له وأغض الطرف عن سري .

وقالوا انهم كتموا أمرنا ، ما وسعهم الكتمان ، عن بنية أهل القرية حذر الوثاة وأن يكون قدومنا غير قانوني .

وأخبرنا ابو محمود ، وهو رب البيت ، بأن القرية وقعت ، قبل عام ، في الطوق سبعة أيام بحثا عن متسللين . فلما لم يجدوهم اقتادوا أربعة عشر رجلا الى السجن وفكوا الطوق عن القرية .

فما هو الطوق ؟

قال : يقوم البوليس بتطويق القرية ويسد منافذها ويفرض منع التجول فيها . ثم تهدر سياراته المصفحة في أزقة القرية . وينتشرون ، وفي أثرهم كلاب الاثر ، يدخلون البيوت ويروعون الاطفال ويدلقون خوابي الزيت على عدل الطحين خوفا من ان يكون المتسللون قد تسللوا الى الخوابي والعدل . فاذا سمعنا صراخا في بيت تسللنا اليه في حلقة الليل ، فليل القرية حالك ، وهذا حاله عشرين عاما ، يسدلونه سترا لهم فبتستر